منشئ المجلة
انطون الجميّل

الزهور

المدير المسؤول
امين تقي الدين

الجزء الرابع　　يونيو (حزيران) ١٩١٢　　السنة الثالثة

النذل

« في قاموس اللغة وفي قاموس العالم »

النذل في القاموس الخسيس الساقط . فهل تعلم معنى هاتين اللفظتين ؟

هما في القاموس ايضاً تجمعان في طيّهما معاني الحقارة ، والسفالة والرذيلة والنقص والجبن ، وما سوى هذا من المترادفات . ولكنني لا إخالك قد فهمتَ المعنى الحقيقي . انّ قواميس اللغة تتنقل بك من لفظةٍ الى لفظة ، وتفسّرُ لك كلةً بكلمة . دعها الى جانب ، وهلمّ بنا الى هذا القاموس العظيم ، قاموس العالم ، واليك منهُ الرواية التالية فقد حدثت وقائعها في مصر ، في مثل هذه الأيام من السنة الماضية ،

*
* *

كَلِفَ فتىً بفتاة . جارانِ تجاور بيتاهما ، كما تحابَّ قلباهما . والحبُّ

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامٌ　　فكلامٌ فموعدٌ فلقاء

وتشاكيا ما بهما . الوجد في نفسها ، والنار في كبده . والقلوبُ

أرقُّ ما تكون ، في صدورٍ لم تنفتح للحب ، ولم تدرِ معنى الغرام . فهي حينئذٍ كذلك الغشاء الرقيق من « الجلاتين » يُلصق على الزجاج في الآلة المُصوّرة ؛ فاذا تناوله النور لمحةً أثر فيهِ ، فانطبعت عليهِ صوَر ما يمرُّ حياله في خلال تلك اللمحة

وعفَّت فتأدب . ووقف لهما غرورُ الشباب وقفةَ العدوّ الغادر . يهزُّ الفتاة ويدفعها فتردّهُ بعفَّة البكر ، ويهيجُ الفتى ويغالبهُ فيتّقيهِ بأدب الحبّ

وأعانت الأيام ، على الجوى والهيام . فتلاقيا على ضفاف النيل ، وتفيئا ظلال الاهرام ، وتسامرا من نافذتَي بيتيهما تحت بريق النجوم في سكون الظلام ، فما زادتهما الليالي الاَّ جوًى ووجداً ، وما زادته الاَّ صبابةً وهياماً

ولما فاض القلبان بالحبّ ، ولم يبقَ في قوس الصبر منزع ، حدَّث الفتى أهلهُ بأمره ، وقصَّت الفتاة حكايتهـا على ذويها . قالَ يا أبي هذه التي أحبُّ ، وقالت يا أمّ هـذا الذي أريد . اما الأمُّ فرضيت ، واما الأب فأبى . ولكنَّ الإباء أجَّج نار الغضا بين ضلوع الفتى ، فالتظى قلبهُ بالشوق والتهب لوعةً وجوى ؛ وشجَّع الفتاةَ من أُمها الرضى ، فتمادت في الوجد ، وتطوَّحت في الهوى . ولم يكن للعاشقين سبيل الى السلوى ، فانقطع هو الى القنوط ، وتعلَّلت هي بالمنى . حتى اذا غلب اليأس على الرجا ، وفتَّ في ساعد الفتى وقد سامهُ الشوق صبراً ، اندفع مع غرور الصبي ، وحببَّ اليأس الى نفسه الردى ، فهوى بهِ الغرور الى ذلة الانتحار فهوى وما ارعوى

قال : اما الحياة فقد مرّرها أبي ونغّصها عليّ فلأجعلنّ حياته مرّةً منغّصة ، ولأنتقمنّ لنفسي منهُ شرّ انتقام . اني أموت فأشقُّ قلبه حزناً عليّ ، وافتّت كبده تفجعاً وغمّاً ، فلا يعيش بعدي ، ولئن عاش فليستنفدَ دموع عينيهِ ، ولتعذّبهُ الشيخوخة حتى يجرّه العذاب الى القبر . . .

. . . . ولكن هبني قدمتُ ، وانتقمت بموتي من أبي ، فكيف أطيق أن تحيا الحبيبة بعدي ؟ أأرضى لها الحياة لكي يتلاشى الحبّ في نفسها فتنساني وقد لا تلبث ان تعلق بغيري فتلقم قبري حجراً ؟ انما قلوب النساء كالعصافير تتنقّل من غصنٍ الى غصن ، فاذا استقرّت فربّما يقف اهتزاز الفنن الذي استقرّت عليهِ ! . . واذا لم يكن من الموت بدٌّ ، فمن الظلم ان يموتَ الحبيب وحده ، وتعيش الحبيبة بعده ! ! . .

ثم كاشف فاتنتهُ بهذا الرأي ، وبسط امامها افكاره وامانيّه ، فزجرتهُ فما ارعوى وانما أثار تأنيبها في نفسهِ نزقَ الشباب فتصلّب وأبى الاّ أن يموتا معاً . وخافت الفتاة أن تتّهم في حبّها ووفائها فقالت له : انت لست بأشدّ حباً لي مني حباً لك ، ولست بأشجع قلباً ، واشدّ بأساً . الحبُّ ساواني بك وما آثرك عليّ في شيء . ان كنت رجلاً فأنا امرأة . انما المرأة أرقّ شعوراً من الرجل ، واكثر تمادياً في الحبّ ، واندفاعاً مع الشهوات. ولقد شئتَ لي أن أموت معك فلتكن مشيئتك فيّ يا ربّ

فمدّ الفتى يده وشدّ على يد الفتاة فتعاهدا على الردى . ثم افترقا على هذا العزم بغيةَ ان يضمّهما القبر، ولم يضمّهما القصر ، وارادةَ ان يجمعهما الموت ولم تجمعهما الحياة

* * *

الانتحار جبن والمنتحر جبان . قد ييأس امرئ فيرى الفرج في الموت ، وقد يدفع الغرور صاحبه الى مهواة الرَّدى تخلصاً من متاعب الحياة، وفراراً من نائبات الدهر . ولكنَّ الانتحار ، مهما تنوَّعت اسبابه ، واختلفت دواعيه ، ليس الاَّ دليل الخوَر والجبن ، والذلَّة والصغار ، فالمنتحر جبان وان استبسل في طلب الموت . لولا الجبن لم يكن الانتحار !

* * *

شُلَّت يده ! صبَّ لها وصبَّ لنفسه . فالسُمُّ في كأسها ، والسمُّ في كأسهِ

ودنا الموت من شفتيها ، ودنا الموت من شفتيهِ . يا ويح لحظّهما ! كلاهما غضُّ الصبى ، رطب الأهاب ، وكلاهما والهٌ تيَّمهُ الحب ، وبرَّح به الجوى !

حمل الكأس الى شفتيهِ ، فاهتزَّت بهـا يمناه ، وارتجف لها قلبه . وأدنت الكأس من شفتيها فما اهتزَّت يمينها ، ولا خفق فؤادها

وتلاقى الناظران من النافذتين ، ففي مقلتها دمعة ، وفي عينهِ جمرة !!

هي فتاة وهو فتى ! هي امرأة وهو رجل ! هي شربت ، وهو . . لم يشرب !

الفتاة شربت كأسها حتى الثمالة ، والفتى صبَّ كأسه على الأرض !

* * *

هل عرفت الآن معنى النذالة ، ومعنى قولهم : فلان نذل ؟ !